التحولات العمرانية والاجتماعية لبلدات حضرموت وقراها (القرن الرابع ــ السابع الهجري/ القرن العاشر ــ الثالث عشر الميلادي) "قراءة تاريخية تحليلية"

جمال عبدالحبيب عبدالقوي الكلدي*

الملخص

يتناول هذا البحث التحولات العمرانية والاجتماعية التي شهدتها بلدات حضرموت خلال الفترة من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي.

ويعرض الخلفية التاريخية لحضرموت في هذه المرحلة، مع التركيز على أثر الموقع الجغرافي في النشاط الاقتصادي، إلى جانب تحليل الحياة الاجتماعية في المدن والبلدات الحضرمية، والعوامل المؤثرة في تطورها.

وتُظهر الدراسة أن الطبيعة الجغرافية لحضرموت وفرت بيئة ملائمة للزراعة والتجارة، مما أسهم في استقرار السكان ونمو البلدات. كما كان للتحولات السياسية والاقتصادية دور فاعل في تشكيل النمط العمراني للمنطقة. وقد ساعدت البنية الاجتماعية التي ارتكزت على النظام القبلي والوظائف الدينية في بناء مجتمع متماسك حافظ على هويته الثقافية في مرّ العصور.

وتؤكد النتائج أن هذه الحقبة مثلت مرحلة تأسيسية لتطور عمراني واجتماعي جديد في حضرموت، ما يستدعي مزيدًا من الدراسات المتخصصة لتعميق الفهم التاريخي للمنطقة.

المقدمة:

يمثل تاريخ حضرموت خلال القرون الإسلامية خاصة من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي، مرحلةً حيوية ومهمة في تطور هذه المنطقة الغنية بالتراث الحضاري والثقافي. فقد شهدت بلدات حضرموت تحوُّلاتٍ عمرانيةً واجتماعيةً بارزة، انعكست في نمط الاستقرار السكاني، والنشاط الاقتصادي، وتنظيم المجتمع، فضلًا عن التطور العمراني الذي أسهم في تشكيل الهُوِيَّة الحضرية للمناطق الريفية، والحضرية في حد سواء.

تتناول هذه الدراسة خلفية تاريخية دقيقة لحضرموت في الفترة المذكورة، موضحة العوامل السياسية والاقتصادية التي أثرت في تطور المدن والقرى، مع التركيز على الموقع الجغرافي ودوره الحيوي في النشاط الاقتصادي المحلي. كما تعرض الدراسة الحياة الاجتماعية التي ارتبطت بالنظام القبلي والتعليم الديني، وكيف شكلت هذه العناصر البنية الاجتماعية في بلدات حضرموت.

وفي سياق متصل يبحث البحث العوامل المختلفة التي أثرت في تطور العمران في حضرموت، بدءًا من العوامل السياسية والأمنية، مرورًا بالعوامل الاقتصادية، وانتهاءً بالعوامل الثقافية والدينية التي أسهمت في تعزيز النمو العمراني والاجتماعي.

يهدف البحث إلى تقديم رؤية شاملة للتحولات التي شهدتها حضرموت من القرن الرابع إلى السابع الهجري، مع التركيز على التكامل بين العوامل المختلفة التي أسهمت في تشكيل النسيج العمراني والاجتماعي، مستفيدًا من المصادر التاريخية والدراسات المعاصرة.

يعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي الوصفي، مع استخدام أدوات المقارنة التاريخية، المستفادة من المصادر الأصلية ككتب الجغرافيين والمؤرخين والرحَّالة، بالإضافة إلى الدراسات الحديثة عن التاريخ الحضرمي.

* أستاذ التاريخ والحضارة الإسلامية المشارك – كلية التربية – جامعة عدن.

المحور الأول: خلفيات تاريخية عن حضرموت من القرن 4-7هـ/ 10-13م:

المبحث الأول: حضرموت في ظل الدولة العباسية:

شهدت حضرموت خلال الفترة من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي تحولاتٍ سياسيةً بارزة، بدأت بتراجع السلطة العباسية المركزية حين كانت حضرموت جزءًا منها ولو اسميًا، مما سمح ببروز كيانات محلية، مثل بني معن وغيرهم ممن كانوا يمثلون الدولة العباسية في اليمن، والنفوذ الأباضي، تميزت هذه المرحلة بتعدد الولاءات والانقسامات، لكنها في الوقت نفسه أفرزت أنماطًا إدارية مكَّنت البلدات من تنظيم شؤونها محليًا، خاصة في ظل غياب سيطرة مركزية قوية[1].

المبحث الثاني: الدول الزيادية واليعفرية والصليحية وتأثيراتها في حضرموت:

مع امتداد نفوذ الدولة الزيادية إلى المناطق اليمنية ومن ضمنها بلاد حضرموت[2]، شهدت حضرموت إدماجًا في مشاريع سياسية واسعة، أدى هذا إلى تطور في شبكة الطرق التجارية، وتحسن طفيف في العمران داخل البلدات والقرى الحضرمية في عهد الحسين بن سلامة النوبي "وإنشاء الجوامع والمنارات الطوال والقلب العادية في المفاوز المنقطعة وبنى الأميال والفراسخ والبرد على الطرقات من حضرموت إلى مكة"[3] ومن مدن حضرموت التي بنى لها جوامع: تريم، وشبام، ونظم المراحل إلى مكة، كما قسم المراحل على عدن، وجعل في كل مرحلة جامعًا وبئرًا ومئذنة[4].

خلال هذه الفترة ظلت حضرموت تحت حكم اليمن الأعلى اسميًا، لاسيما في عهد الدولة اليعفرية في صنعاء التي كانت تتبع بولائها للدولة الزيادية في زبيد[5]؛ لأن أهله في واقع الأمر هم الحكام الفعليون لها. وكل رئيس عشيرة فيها يحكم منطقته[6].

فلما قدم السيد أحمد بن عيسى المهاجر جد العلويين بحضرموت، والذي قدم من البصرة سنة 318هـ/ 930م، وبرفقته ابنه عبيدالله وحفيده بصري بن عبيدالله وجماعة من عائلته وأتباعه، فأحدث تحولًا كبيرًا في التاريخ الحضرمي من الناحية السياسية والاجتماعية والدينية (المذهبية)[7].

وعلى الرغم من ذلك لم يسعوا إلى ملك أو سيطرة سياسية بل كانوا دعاة خير وصلاح.

أما في عهد الدولة الصليحية التي ظهرت في سنة 439- 532هـ/ 1047 - 1137م، فكانت حضرموت خاضعة للصليحيين، وقد ساعدوا العلويين ضد النفوذ الأباضي حتى استطاعوا دحرهم من حضرموت[8].

كما كان لنواب الصليحيين في عدن من بني معن علاقات تجارية مع المدن الحضرمية مثل مدينة الشحر، كما جعل الصليحيون لهم نوابًا في حضرموت من آل فارس على الشحر، وآل الدغار على شبام، وآل قحطان على تريم، وهؤلاء جميعهم من حضرموت[9].

المبحث الثالث: ظهور الحكم المحلي ودولتَيْ بني زريع وبني حاتم:

في القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي، بدأت ملامح الحكم المحلي تتبلور مع بروز بعض الأسر الحاكمة، مثل بني زريع، التي كان لها ولاية على حضرموت ولو اسمية، لأنَّ هذه البلاد كانت تحت حكم رؤساء عشائرها وخاصة إمارة آل راشد، الذين كانوا ملوكًا بتريم[10].

أما بنو حاتم، الذين سعوا لتعزيز نفوذهم ببناء الحصون والمدن، مما أسهم في تطور النسيج العمراني وتوسع النسيج الاجتماعي حوله[11]، فعلى الرغم لم يكنْ لدولتهم أي علاقة بحضرموت[12].

المبحث الرابع: حضرموت في ظل حكم الدول الأيوبية والرسولية (القرنين 6و7هـ/ 12و13م):

شهدت حضرموت خلال العهدين الأيوبي والرسولي

مرحلتين بارزتين في التاريخ الحضرمي، اختلف فيهما تأثير السلطة المركزية، وبرزت خلالهما ملامح جديدة في البنية العمرانية والاجتماعية والدينية للمنطقة بما فيها حضرموت.

فمن المعروف أنَّ الدولة الأيوبية استطاعت أن تبسط سيطرتها على غالب أقاليم اليمن، خاصة زبيد وتعز وعدن، بما فيها حضرموت، التي لمْ تسلمْ من الحملات الأيوبية عليها[13]، رغم بُعدِها الجغرافي، واتساع رقعتها.

اعتمد الأيوبيون على الحكم المباشر في حضرموت عندما سيطر عليها عثمان الزنجيلي في سنة 575هـ/ 1179م، ثم انتفضت عليه قبائلُها، ثم جاء طغتكين بن أيوب وأخذ شبام، وظلَّت سياسة الغزو تتقلب بين السيطرة الكاملة وبين الاكتفاء بتعيين ولاة من القبائل حسب المصلحة[14].

أما الأثر العمراني والاجتماعي في هذه الفترة فلمْ تسجِّل المصادر الأثرية أو التاريخية نشاطًا عمرانيًا كبيرًا في حضرموت، مما يدل على ضعف الاستثمار في التنمية الحضرية حينذاك، وتركز النشاط الحضري في مركز محلي تقليدي مثل الشحر، وتريم[15].

واستمرت الحياة الاجتماعية في نمطها القبلي والريفي مع بروز بعض الفقهاء المحليين في مدن الداخل.

أما عهد الدولة الرسولية فقد اتَّسمت في تعاملها مع حضرموت بالمزج بين القوة والدبلماسية، إذ تمَّ إرسال حملات عسكرية إلى المناطق الشرقية والسيطرة عليها، إلى جانب تعيين ولاة للدولة فيها[16].

فتمكنت الدولة الرسولية من بسط نفوذها على بعض أجزاء من حضرموت، ولاسيما مدن الساحل مثل الشحر، وبعض مدن الداخل مثل تريم، وشبام، والهجرين، ومن خلال تعيين قضاةٍ وجُبَاة الضرائب، وربط هذه المدن إداريًا بمركز الدولة في تعز[17].

أمَّا التحولات العمرانية في عهد بني رسول فقد شهدت حضرموت تطورًا عمرانيًا ملحوظًا تجلى في:

1. نشوء مراكز حضرية مثل سيئون، التي ذكرت بانها كانت بلدة قديمة لبني معاوية من كندة، وقد خربت سنة 595هـ/ 1198م، فبدأت بالتحوُّل من قرية صغيرة إلى مدينة ذات طابع إداري وتجاري[18].
2. تطور مدينة شبام كمركز عمراني متميز بالبناء الطيني العمودي[19].
3. توسع مدينة تريم كمركز ديني وثقافي، مع ازدهار المعالم العمرانية الدينية، مثل المساجد والمدارس والزوايا والأربطة[20].

أما من ناحية الحياة الاجتماعية والثقافية في عهد الدولة الرسولية، كان المذهب الشافعي هو السائد في حضرموت، وقد دعمته الدولة الرسولية عبر الفقهاء والعلماء، إذ أسهم هذا الدعم في تشكيل نخبة دينية وعلمية أدَّتْ دورًا مهمًا في تنظيم المجتمع وتوجيهه، كما برزت عائلات علمية وسياسية، مثل: آل باعلوي، آل أبي ماجد، وآل أبي الحب، وآل الخطيب، وآل أكدر، وآل بأفضل، وآل أبي عيسى، وآل أبي حاتم، وآل أبي جواس، وآل باوزير، وآل باعباد، وآل العمودي، وآل عيديد وغيرهم، وبدأت تتشكل معالم الطبقة العلمية والفقهية في حضرموت[21].

المحور الثاني: الموقع وأثره في النشاط الاقتصادي والعمراني لبلدات حضرموت (القرن 4-7هـ/10-13م):

المبحث الأول: الموقع الجغرافي:

تقع حضرموت في جنوب الجزيرة العربية، وتمتدُّ أراضيها من السهل الساحلي الجنوبي على بحر العرب إلى الهضاب الداخلية والصحاري الواقعة شمالًا، وتحدُّها من الشمال صحراء الربع الخالي، ومن الجنوب البحر العربي، ومن الشرق ظفار، ومن الغرب شبوة، وقد تميَّزتْ حضرموت بوجود وديان خصبة، مثل: وادي حضرموت، ووادي دوعن، ووادي عمد وغيرها،

ما جعلها منطقة جذب للسكان منذ القدم[22].

المبحث ثاني: أثر الموقع في النشاط الاقتصادي:

تتميز حضرموت بموقع جغرافي فريد في جنوب شبه الجزيرة العربية؛ إذ هي متصلة بطرق برية وبحرية استراتيجية، جعلت منها حلقة وصل مهمَّة بين المراكز التجارية في الهند وشرق إفريقيا من جهة وبين موانئ الخليج والحجاز واليمن الأعلى من جهة أخرى.

1. التجارة والطرق التجارية:

أدَّى الموقع الجغرافي دورًا في جعل حضرموت محطة مهمة في شبكة التجارة العربية والإسلامية، خصوصًا بين القرن الرابع والسابع الهجريين/ العاشر والثالث عشر الميلاديين. فقد شكَّلت هذا المدن والبلدات والواقعة ضمن إقليمها، مثل الشحر، وسيئون، وشبام، وتريم وغيرها، نقاط عبور للتجارة القادمة من الشرق (الهند والصين) والمتجهة نحو الجزيرة العربية وبلاد الشام، ومن أبرز الموانئ الحضرمية في تلك الفترة ميناء الشحر، الذي كان يعد منفذًا رئيسًا لتصدير اللبان والمر والصمغ والبخور والقطن والجلود إلى الأسواق الإسلامية والعالمية خلال القرون الهجرية الوسطى، وخاصة في العصر العباسي والفاطمي وما بعدهما[23].

أسهم ذلك الطريق في ازدهار التجارة البرية، خصوصًا في تصدير اللبان والصمغ والعطور والمنتجات الزراعية، والملح الصخري، والمنسوجات الحضرمية، مثل البرود، والحرير والصباع، والعنبر وغيرها، واستيراد المنسوجات والتوابل والمعادن من الهند وشرق أفريقيا، مما أسهم في تنشيط الأسواق وقيام طبقات تجارية نشطة، وتطور العمران؛ نتيجة الحاجة إلى المخازن والخانات والأسواق[24].

2. الزراعة والري:

رغم طابعها الصحراوي قد وجدت وعرفت خمس طرق للري، هي: الري عن طريق السيول، والآبار، والينابيع، ومياه الأمطار، والقنوات، كما أسهمت الأودية الخصبة في ازدهار الزراعة في بلدات حضرموت، حيث أسهم هذا الموقع في الاستقرار النسبي، وفي تمكين الأهالي من تطوير أنظمة الري التقليدية، كالسدود، والآبار، والقنوات، وتنظيم الموارد المائية، فمن أبرز المحاصيل: التمور، والدخن، والذرة، إضافة إلى اللبان الذي كان ذا أهمية تجارية، ممَّا وفر قاعدة اقتصادية قوية لنمو المراكز السكنية، كما ارتبط بالزراعة تربية الماشية، كنشاطات رئيسة في الريف الحضرمي[25].

3. الصناعات والحرف:

نتيجة لازدهار التجارة، نشأت في المدن الحضارية ورش حرفية وصناعات صغيرة، منها دباغة الجلود، وحياكة النسيج، والفخار، وصناعات أدوات الزراعة، والحدادة، واستخراج المعادن، والنجارة التي اشتهر بها أهل حضرموت، فقد عثر على شبابيك ومواد خشبية أخرى منقوشة نقشًا بديعًا ومحفورة حفرًا يدل على دقة الصنعة في استخدام الأدوات النجارية المختلفة في صنع النفائس من الخشب، وارتبطت هذه الصناعات بالأسواق الأسبوعية في القرى والبلدات الحضرمية، التي نشطت بسبب مرور القوافل التجارية بها[26].

كما ازدهرت الصناعات المحلية المرتبطة بالزراعة، مثل استخراج الزيوت، وصناعة الحبال، والسلال، مما تطلب إنشاء ورش وأسواق متخصصة، وهي ملامح عمرانية مهمة لهذه الفترة، هذا التنوع الجغرافي ساعد في قيام أنماط سكنية ثابتة في القرى الصغيرة، حيث تشكلت أنظمة مجتمعية حول الحقول والمزارع[27].

المبحث ثالث: أثر الموقع في التفاعل الحضاري والعمراني:

وفر موقع حضرموت الجغرافي المنفتح على البحر العربي طريقًا للهجرة والتأثير الثقافي من الهند وشرق أفريقيا وإليها، جعل مدن حضرموت تشهد مزيجًا عمرانيًا متنوعًا، يتجلَّى في نمط البناء والزخرفة؛ فقد تأثرت بعض المنشآت العمرانية، خصوصًا في الشحر

وتريم، بعناصر معمارية هندية وأفريقية[28].

كما أن وفود العلماء والتجار والرحالة قد أسهم في نقل أساليب بناء، وأسواق، ونظم حياة جديدة، انعكس على العمران المحلي. فشهدت المدن تطورًا في تخطيط الأسواق والمساجد والبيوت، وظهرت أسواق متخصصة وأحياء مهنية[29].

يتضح مما سبق أن الموقع الجغرافي لحضرموت كان عاملًا حاسمًا في تشكيل ملامح النشاط الاقتصادي والعمراني للمدن والبلدات الحضرمية بين القرنين الثالث والسابع الهجريين؛ فقد أتاح هذا الموقع إمكانات للتجارة الدولية، والزراعة المستقرة، والتأثيرات الثقافية الخارجية، جعل حضرموت تحتفظ بدور مهم في المشهد الحضري والاقتصادي في جنوب الجزيرة العربية.

المبحث الرابع: أثر الموقع في العمران:

1. التخطيط العمراني:

أثَّر الموقع الجغرافي في توزيع السكان ونمو المدن، حيث أنشأت مراكز حضرية على ضفاف الأودية، مثل: سيئون، وتريم، وشبام، أتاح وجود شبكات سكنية متكاملة، تعتمد على نظام الحارات والمساجد والأسواق، والساحات العامة[30].

كما ساعد وجود الموانئ على الساحل الجنوبي في نشوء حواضر ساحلية مزدهرة، مثل الشحر، التي شهدت توسعًا عمرانيًا بفضل التبادل التجاري مع الهند واليمن الأعلى وشرق أفريقيا[31].

ومن المنشآت المائية التي تتعلق بالعمارة الإسلامية في حضرموت السقاياتُ أو الأسبلة، وهي نمط معماري عرف في كثير من دول العالم الإسلامي، وخاصة مصر والعراق والشام[32].

2. العمارة وتقنيات البناء:

تأثرت العمارة في حضرموت بالموقع الجغرافي؛ إذ استخدم السكان المواد المحلية، كاللَّبِن والطين المطعَّم بالتبن، وهو ما يحصل عليه من عيدان البر بعد حصاده؛ إذ يعطي اللبنة قوَّةً ومناعة، والطين قابل لحرارة الشمس. وبرز الطراز المعماري الطيني في مدنٍ، مثل شبام، مما يدل على التكيُّف مع البيئة الجافة الحارة[33].

3. التحصينات والمراكز الإدارية:

إن الصراعات السياسية والقبلية في حضرموت كانت على أشُدِّها، وكانت تتخذ الطابع القبلي غير المنظم في بدايتها، ثم ظهرت كيانات في فترة الدراسة، من أهمها: إمارة آل راشد، التي عرفت بإمارة آل قحطان بتريم (400. 635هـ/ 1009. 1048م)، وإمارة آل إقبال (آل فارس) في الشحر (547. 677هـ/ 1152. 1287م)، وإمارة آل دغار في شبام (460. 605هـ/ 1067. 1208م)، وإمارة آل بني الأعلم بن يمان الحارثية الكندية في شبام (605. 619هـ/ 1208. 1222م)، وإمارة بني سعد الكنديين في شبام (623. 842هـ/ 1226. 1421م)، وإمارة آل يماني في تريم (621. 926هـ/ 1224. 1519م)[34] ، كما كان للوجود الأيوبي والرسولي في حضرموت الأثر الأكبر في بناء الكيانات العسكرية وتنظيمها وترتيبها، وترسيخ النظام العسكري بين أهلها؛ إذ استفاد الحضارم من هاتين الدولتين بطرق غير مباشرة في تنظيم الجيش وتربيته؛ لأنهم كانوا يجهلون الكثير من هذه التنظيمات، ونتيجة لأهمية الموقع ومكانته التجارية، أقيمت قلاع وحصون لحماية المدن المركزية التجارية من الغزوات والاضطرابات القبلية[35]. كما أنشئت مراكز إدارية مخصصة لإدارة الضرائب وتنظيم التجارة الداخلية والخارجية، فبنو رسول قاموا بإدارة ميناء الشحر بنظام خاص للإداريين والمسؤولين عن إدارة الميناء بكل أقسامه، فبعضهم مسؤول عن إدارة الشحن في الميناء، وبعضهم عمال تفريغ، وبعضهم عمال خدمة السفن، كما قاموا بنظام الجمارك وغيرها[36].

يتضح مما تقدم أن الموقع الجغرافي لحضرموت كان عاملًا مهمًا في تشكيل ملامح النشاط الاقتصادي والعمراني للمدن والبلدات الحضرمية بين القرنين الرابع والسابع الهجريين؛ فقد أتاح هذا الموقع إمكانات للتجارة الدولية والزراعية المستقرة، والتأثيرات الثقافية الخارجية، ما جعل حضرموت تحتفظ بدور مهم في المشهد الحضري والاقتصادي في جنوب الجزيرة العربية.

المحور الثالث: التحولات العمرانية: أنماط البناء والمساجد والأسواق في فترة الدراسة:

المبحث الأول: أنماط البناء:

شهدت بلدات حضرموت خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى السابع تحولًا نوعيًا في أنماط البناء، تمثل في تطور العمارة المحلية من النمط البدائي البسيط إلى أنماط أكثر تكاملًا ووظيفية، تتناسب مع الطبيعة البيئية والاقتصادية للمجتمع الحضرمي[37].

اعتمد السكان على مواد محلية في البناء، أبرزها اللبن والطين المجفف بالشمس، الذي اتسم بخفة الوزن وسهولة التشكيل وفعاليته في مقاومة الحرارة الشديدة. كما استخدمت الحجارة الجيرية لتدعيم الأساسات، وأخشاب السدر والنخيل في تغطية الأسقف لتوافرها ومتانتها[38].

تتميز المساكن التقليدية في حضرموت بوصفها مثالاً بارزًا على استجابة البيئة البدوية الحارة، حيث تحتوي على فناء داخلي (حوش)، وتحيط به الغرف من الجهات الأربع، تشبه البيوت الشامية القديمة، في حين تكون النوافذ صغيرة الحجم ومصمَّمة للتحكم بدخول الحرارة والإضاءة[39].

كما ترتبط البيوت ضمن كتل سكنية ضيقة ومتلاصقة حول الشوارع أو الأسواق، مما يعزز التظليل وتخفيف تأثير حرارة الشمس المباشرة، وفي مدن حضرمية كبرى مثل شبام وسيئون وتريم برز تطور البناء الرأسي بأبنية من الطوب واللبن المتفاوته في الارتفاع، في نمط يُعد من أقدم التخطيطات الحضرية، والتي تعكس ازدياد الكثافة السكانية في كل مدينة[40].

فالبيت في شبام اليوم على سبيل المثال يتكون من سبعة طوابق، وكل طابق له وظيفة معينة؛ فالدور الأول يستخدم كمخزن تخزن فيه المواد الغذائية والفحم والحطب وغيرها، والدور الثاني يستخدم كسكن للمواشي، والدور الثالث يكون خاصًا للرجال، وخاصة الزائرين، وبه حماماتهم، أما الدور الرابع وهو خاص بالنساء ولوازمهن، ويمكن استخدامه من قبل الرجال من أهل الدار، وقد يتناولون فيه الطعام ويتسامرون، ويتكون من غرفتين إحداهما كبيرة للرجال والأخرى صغيرة للنساء، والدور الخامس يخصص للنساء الزائرات وبه حماماتهن، والدور السادس يتزوج فيه الأبناء، والدور السابع لرب الأسرة، وفيه غرف لتجفيف الحبوب[41]، وهذا يدل على الإرث الحضاري التي تمتعت به مدن حضرموت في العصر الإسلامي.

وشهدت بعض المدن، ولا سيَّما التي لها أهمية سياسية أو تجارية تهديداتٍ وصراعاتٍ، حيث أنشئت حولها أسوار دفاعية وقلاع على مداخلها، لأغراض الحماية، نتيجة التحديات الأمنية في بعض المراحل من التاريخ الحضرمي، وخصوصًا فترة النزاع القبلي أو الانفلات الأمني[42].

المبحث الثاني: المساجد:

شكلت المساجد عنصرًا أساسيًا في البيئة العمرانية والاجتماعية للمدن الحضرمية، وكان لها دور يتجاوز الجانب الديني ليشمل التعليم والتوجيه الاجتماعي.

بنيت المساجد من الطين والحجارة، بسقوف خشبية، وكان التخطيط الداخلي بسيطًا، غالبًا ما يتكون من صحن وصالة للصلاة، مع وجود محراب باتجاه القبلة، ولم تكن المآذن واسعة الانتشار في بداية هذه الفترة، لكنها بدأت بالظهور بشكل محدود خلال القرن الخامس الهجري، وتطورت تدريجيًا في الحجم والزخرفة في

القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، فقد قال الهادي[43]: "فقد عثر على ألواح من الخشب وعلى شبابيك ومواد خشبية أخرى في حضرموت منقوشة نقشًا بديعًا ومحفورة حفرًا يدل على دقة الصنعة وإتقان العمل، وهي شاهدة على تمكن النجَّار من مهنته في وضع النفائس والطرائف من الخشب".

كما استخدموا الحجر الجيري في البناء وخاصة في بناء الأساسات، واستخدمت النُّورة لعمليات التلبيس وكمادة لطلاء المباني، فضلًا عن استعمال الجب س(الجص)، في تغطية القباب من داخل المساجد وخارجها وتزيين المحاريب والأسقف، كما تعد المنارات (المآذن) من أهم الدلالات التي تشير إلى وجود المساجد، والتي ترى من مسافات بعيدة، والمنارات ظلَّتْ رمزًا للمساجد، فقد ذكرت المصادر أن الحسين بن سلامة النوبي المتوفَّى سنة 404هـ / 1013م قام ببناء المساجد والمنارات الطوال من حضرموت إلى مكة[44]، وهذا يدل من دون شك على وجود مآذن في المساجد والجوامع في كل مكان.

واشتهرت حضرموت باهتمامها بالتعليم الديني داخل المساجد؛ إذ تحوَّل بعضها إلى مراكز لتعليم الفقه الشافعي والحديث، ثم نشأت حولها أربطة علمية وزوايا صوفية خاصة في تريم، حيث ازدهرت الحلقات العلمية المرتبطة بالتصوف والفقه الإسلامي[45].

من أبرز المساجد التي تعود إلى هذه الحقبة:

أ. مسجد سيئون، الذي بناه الشيخ أحمد بن مسعود، مثَّل نواة دينية وتعليمية للمدينة خاصة أيَّام الشيخ سعد بارجاء في أوائل القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، الذي زاد في توسعة الجامع بصفين أضافيين[46].

ب . المساجد الأولى في تريم، التي أصبحت لاحقًا نواة لمدرسة دينية صوفية[47].

جـ . مساجد الشحر، التي ارتبطت بالنشاط التجاري البحري ومجالس العلماء[48].

المبحث الثالث: الأسواق:

كانت الأسواق تمثل مراكز النشاط الاقتصادي في المدن والبلدات الحضرمية، وقد تطورت من أسواق أسبوعية دورية بدائية إلى أسواق دائمة ومنظمة خلال هذه الفترة، خاصة مع ازدهار النشاط التجاري البحري والبري لحضرموت.

تمركزت الأسواق في وسط المدن، واتسمت بالتخطيط الوظيفي، حيث توزعت الدكاكين حسب التخصص: سوق الحبوب، سوق الأسلحة، سوق النجَّارين، سوق الحدَّادين، سوق الصاغة، وغيرها من الأسواق المتخصصة، وكانت هذه الأسواق تبنى من الطين مع استخدام الأخشاب في الأسقف، وتُنظَّم على جانبي الشوارع الرئيسة، وتدار وفقًا لضوابط دينية وأخلاقية، يُشرِفُ عليها القضاة أو المحتسبون[49].

واشتهرت بعض الأسواق بارتباطها بالتجارة الخارجية، خاصة في المدن الساحلية، مثل الشحر، التي تمثل ميناء رئيسًا لتصدير البخور، واللبان، والجلود، والسمك المجفف، والحبوب، والخيول، واستيراد البضائع الهندية والأفريقية[50].

كما وجدت في بعض المدن الخانات والربط بجوار الأسواق، وهي أماكن خصصت لإقامة التجار القادمين من الخارج، مما يعكس تطور النمو التجاري والعمراني معًا[51].

تكشف التحولات العمرانية في حضرموت من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي عن ديناميكية متكاملة بين البيئة الجغرافية، والعوامل الاقتصادية، والدينية، والاجتماعية؛ فقد جاءت أنماط البناء استجابة للمناخ والطبيعة الجغرافية، في حين شكلت المساجد مراكز دينية علمية، وتطورت الأسواق كعصب للنشاط التجاري والاقتصادي، جعل المدن الحضرمية تشهد نموًّا متوازنًا في النسيج العمراني خلال هذه الفترة.

المبحث الرابع: الفرق بين العمران في المدن والقرى الحضرمية:

شهدت حضرموت خلال الفترة من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي تحوُّلاتٍ عمرانيَّةً واضحة، اختلفت بين المدن الكبرى، مثل الشحر، وشبام، وتريم، وبين القرى والبلدات الريفية الصغيرة المنتشرة في الأودية والسهول والمرتفعات، ويعود هذا التباين إلى عوامل متعددة، أبرزها: الموقع الجغرافي، والدور الاقتصادي، الأهمية الدينية والسياسية.

أولاً: المدن الحضرية وعمرانها:

المدينة هي الموضع الذي فيه مراكز السلطة السياسية، والمشرف على المناطق المحيطة به[52]. تميزت المدن الحضرمية في هذه الفترة بطابع عمراني منظم، حيث اتخذت مبانيها طابعًا عموديًا باستخدام الطين المحروق (اللبن) والطين النيئ، مع تقنيات معمارية تعكس مهارات البناء التقليدية في البيئة الصحراوية، انعكس على تنوع العمران فيها، من الأسواق، إلى المساجد الجامعة، إلى الدور السكنية ذات الطوابق المتعددة[53].

*** أبرز الملامح العمرانية للمدن:**

1- الأسواق: التي تقع غالبًا في مركز المدينة، وتعد نقطة التقاء للتجار والقوافل[54].

2- المساجد الجامعة: ذات التخطيط المستطيل والصحن المكشوف، وغالبًا ما تبنى من الطين المحلي، وزُيِّنت بالخشب المزخرف، مثل مساجد تريم، ومساجد سيئون، ومساجد شبام، وغيرها[55].

3- الأسوار والأبواب: التي أحاطت ببعض المدن حماية لها من الغارات والاضطرابات القبلية، كما هو موثق في الشحر وتريم[56].

4- التنظيم الطبقي للمباني: إذ ارتفعت المنازل في المدن من طابقين إلى ثمانية طوابق، مما يعكس استجابة عمرانية لزيادة الكثافة السكانية[57].

تكشف التحولات العمرانية في حضرموت في فترة الدراسة عن ديناميكية متكاملة بين البيئة الجغرافية والعوامل الاقتصادية، والدينية والاجتماعية؛ فقد جاءت أنماط البناء استجابة للمناخ والموارد، في حين شكلت المساجد مراكز دينية وعلمية، وتطور الأسواق كعصب للنشاط التجاري والاقتصادي، مما جعل المدن الحضرية تشهد نموًا متوازنًا في النسيج العمراني خلال هذه الفترة.

ثانيًا: القرى والبلدات الريفية:

أما القرى الحضرمية، فقد حافظت على نمط عمراني بسيط وتقليدي أكثر، يعتمد على المواد المحلية كالحجارة والطين وسعف النخيل، وغالبًا ما تميزت مبانيها بالانخفاض؛ إذ لا يتجاوز ارتفاع المبنى طابقًا أو طابقين[58].

***أبرز سمات العمران القروي:**

1- الاعتماد على الطبيعة الطبوغرافية: حيث تتوزع القرى في بطون الأودية، مثل وادي دوعن، ووادي عمد، مع تموضع المنازل على التلال لحمايتها من السيول الموسمية[59].

2- غياب التنظيم العمراني الرسمي: حيث تبنى المنازل بطريقة عشوائية؛ استجابة لحاجة السكان الفورية، من دون شوارع معبدة أو تخطيط رسمي.

3. الترابط الاجتماعي والعمراني: إذ كانت القرى تتميز بتقارب المنازل وصغر مساحاتها، مما يعكس طابعًا اجتماعيًا حميمًا.

4- قلة المنشآت العامة: ففي الغالب لا تضم القرى سوى مسجد صغير وسوق أسبوعي بسيط، على خلاف المدن التي تضم أكثر من مسجد وأكثر من سوق.

ثالثًا: العوامل المؤثرة في التباين العمراني:

تتعدد العوامل التي أدت إلى اختلاف العمران بين المدن والقرى، من أبرزها:

1. الوظيفة الاقتصادية: فالمدن كانت مراكز تجارية متصلة بالقوافل البحرية والبرية، استدعى نمطًا عمرانيًا أكثر تطورًا، في حين اقتصرت القرى على الزراعة وتربية الماشية[60].

2. الارتباط بالطرق التجارية: المدن الواقعة على طريق اللبان أو قرب الموانئ شهدت ازدهارًا عمرانيًا، مثل الشحر[61].

3. الدور السياسي والديني: إذ كانت بعض المدن مقرًّاتٍ للعلماء أو الوُلاة، استدعى ذلك بناء مرافق دينية وتعليمية كالمساجد والزوايا والمدارس[62].

يمكن القول إنَّ التباين بين العمران في المد والقرى الحضرمية من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي يعكس البنية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتمايزة بين هذه التجمعات السكانية.

ففي حين اتسم عمران المدن بالتنظيم والتعقيد، حافظت القرى على نمطها التقليدي المتواضع، بما يتناسب مع طبيعة وظيفتها وموقعها في الخارطة الحضرية لحضرموت خلال هذه الفترة.

المبحث الخامس: دور الأوقاف والزوايا في تنظيم المجال العمراني في حضرموت:

مثلت الأوقاف عنصرًا مركزيًا في تشكيل المجال العمراني وتوجيهه في حضرموت خلال هذه الفترة. فقد كانت هذه المؤسسات الدينية والاجتماعية أداة فاعلة في توزيع الأراضي واستثمارها، وبناء المرافق العامة، ودعم الاستقرار الاجتماعي، مما جعلها أحد المحاور الرئيسة في التنظيم المكاني والعمراني للمدن والبلدات الحضرمية.

أولًا: الأوقاف كأداة عمرانية:

أدى نظام الأوقاف دورًا كبيرًا في دعم البنية التحتية للمدن والقرى الحضرمية. وقد شملت الأوقاف في هذه الفترة أعيانًا عقارية شملت منازل، وأسواقًا، وبساتين، وآبارًا، ومباني، كانت عائداتُها تُحبَس على المساجد والمدارس والزوايا والمصالح العامة[63].

*ومن أبرز الأدوار العمرانية للأوقاف:

1. توفير الأراضي لبناء المساجد والمرافق العامة، فقد كان كثيرٌ من الأراضي المخصَّصة للمساجد والسبل مأخوذة من أوقاف أهلية أو سلطانية[64].

2ـ تمويل صيانة المباني العامة، مثل: المساجد والزوايا، والمدارس، وبيوت الضيافة، قد ساعد في ديمومة العمران وجودته[65].

3. تحفيز التوسع العمراني، إذ كان الوقف يشجع على بناء الأسواق أو أحياء جديدة بجوار الأوقاف؛ نظرًا لضمان الموارد أو استدامتها، وخدمات الصيانة[66].

ثانيًا: الزوايا كمراكز تنظيمية واجتماعية:

الزوايا (أو الأربطة) أدَّتْ دورًا مزدوجًا في حضرموت: دينيًا وتعليميًا من جهة، وعمرانيًّا واجتماعيًّا من جهةٍ أخرى. فقد كانت مراكز جذب سكاني، وغالبًا ما نشأ حولها أحياء سكنية جديدة؛ لتوفر الأمن الروحي والاجتماعي[67].

*أبرز ملامح دور الزوايا في المجال العمراني:

1. محورية الزوايا في تخطيط الأحياء، إذ بنيت بجوارها مساكن التلاميذ والفقراء، أدى ذلك إلى نشوء أحياء كاملة تعرف بأسماء الزوايا أو مؤسسيها[68].

2. الزوايا كمراكز لتوزيع الخدمات: فقد كانت تقدم الطعام والإيواء والسكن للطلبة والمريدين، استدعى ذلك إنشاء مبانٍ إضافية حولها، مثل: المخازن، والبيوت الوقفية[69].

3. الاستقرار الاجتماعي والعمراني: وجود الزوايا في مناطق مائية شجع الاستقرار في تلك المناطق، وساعد على نشوء قرى صغيرة حولها، تحوَّلت لاحقًا إلى بلدات مأهولة بالسكان.

ثالثًا: أمثلة حضرمية بارزة:

من الأمثلة على التأثير المباشر للأوقاف وزوايا في العمران:

1. رباط تريم: الذي بناه الشيخ إبراهيم بن يحيى بأفضل (ت 684هـ)، وكان يقيم فيه الفقراء، لكنْ سبقه عددٌ من الزوايا التي استُخدمت كمراكز دينية وتعليمية منذ القرن الخامس الهجري/ العاشر الميلادي، إذ كانت تحاط ببيوت صغيرة للطلبة، مما شكل نواة عمرانية مستقرة لاحقًا[70].

2. وقف جامع الشحر: إذ أوقف عددٌ من التُجَّار عقاراتهم على صيانة التعليم فيه وتمويله، فشجع ذلك على البناء بالقُرب منه لأسباب دينية واقتصادية[71].

3. زوايا وادي دوعن: التي كانت نواة عمرانية لعدد من القرى، فقد جرى بناء المساجد الصغيرة، ثم تبعتْها مبانٍ سكنية وأسواق أسبوعية مدعومة بريع الأوقاف[72].

رابعًا: أثر الأوقاف والزوايا في ضبط التوسع العمراني:

من خلال الأوقاف والزوايا تمت السيطرة على التوسع العمراني بشكل منظم، إذ:

1. وُجِّه العمران إلى المناطق المأهولة دينيًا، فابتعد عن العشوائية.

2ـ أصبح الوقف وسيلة لتحسين بعض المناطق بالخدمات الروحية والتعليمية، مما زاد من قيمة الأرض فيها.

3. أسهمت عوائد الأوقاف في إنشاء شوارع مسقوفة، وأسبلة (أماكن الشرب) وحمامات عامة، وكلها أثرت على تنظيم المدينة[73].

يظهر من خلال دراسة الأوقاف والزوايا في حضرموت بين القرنين الرابع والسابع الهجريين أن هذه المؤسسات لم تكن دينية فحسب، بل كانت أدواتٍ فعالةً لتنظيم العمران وتوجيهه، سواءً في المدن الكبرى أو البلدات الريفية. وقد أسهم في تثبيت التجمعات السكانية، وتطوير البنية التحتية، وتعزيز التماسك الاجتماعي، الأمر الذي جعلها من أهم العوامل المؤثرة في المجال العمراني في حضرموت خلال تلك الحقبة من زمن.

المحور الرابع: الحياة الاجتماعية في المدن والبلدات الحضرمية (ق: 4ـ 7 هـ/ 10ـ 13م):

شهدت حضرموت خلال الفترة من القرن الرابع إلى السابع الهجري تطورًا ملحوظًا، نابعًا من التفاعل بين البيئة القبلية، والنشاط العلمي والديني، والتكوين الطبيعي للمجتمع.

فقد اتخذ المجتمع الحضرمي طابعًا مركبًا تتداخل فيه العلاقات التقليدية مع معطيات التحضر والنشاط الاقتصادي والديني:

المبحث الأول: الطبقات الاجتماعية وأدوارها:

تأثرت الحياة اليومية في البلدات الحضرمية بالعوامل الدينية والاقتصادية، كانت الأسرة هي الوحدة الأساسية، يسودها نمط تقليدي، يقوم على توزيع الأدوار بوضوح بين الجنسين، كما ارتبطت الأعياد والمناسبات الاجتماعية بالطقوس الدينية والعرف القبلي.

تكون المجتمع الحضرمي من طبقات متمايزة يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

1. طبقة السلاطين والأمراء: تقع هذه الفئة من الناس على رأس السُلَّم الطبقي في المجتمع الحضرمي زمن الدراسة[74].

2ـ طبقة القبائل: القبيلة هي الوحدة الاجتماعية الأساسية في المجتمع الحضرمي، وعلى الرغم من خمول بعض القبائل وبروز البعض الآخر كان للقبائل دور بارز في أحداث تلك الحقبة من الزمن[75].

3. طبقة العلماء والفقهاء: كانت تحظى بمكانة اجتماعية مرموقة؛ نظرًا لدورها الديني والتعليمي، وكانوا يدعون لحل النزاعات والتأليف بين الناس، وتُخصَّص لهم أوقاف ورواتب من أعيان البلدة[76].

4. طبقة التُجَّار: لاسيما في المدن الساحلية كالشحر؛ إذ أدَّت هذه الطبقة دورًا مهمًا في دعم العمران عبر

الوقف والمشاركة في الحياة العامة، وكان لهم نفوذ اقتصادي وسياسي أحيانًا[77].

5. القبائل الريفية والفلاحون: شكلوا القاعدة العريضة للمجتمع، وكانوا يعملون في الزراعة ورعي المواشي، وأسهموا في استقرار الحياة الاجتماعية في القرى والأودية[78].

5. طبقة العبيد والموالي: كانت موجودة وخاصة في الموانئ، وغالبًا ما عملوا في المهن اليدوية، وكانت وضعيتهم الاجتماعية أدنى، لكن البعض منهم ارتقى علميًا ودينيًا بفضل الانخراط في الزوايا والمدارس[79].

المبحث ثاني: تأثير القبيلة والمذهب:

تأثرت الحياة الاجتماعية في حضرموت بشكل مباشر بالقبيلة والمذهب:

1. القبيلة: كانت نواة التنظيم الاجتماعي من حيث التنظيم الإداري، فقد كانت القبائل تتولى مهامَّ حفظ الأمن، وتسوية النزاعات، وتوزيع الأراضي داخل البلدات والقرى الريفية. وقد حافظ هذا النظام على الاستقرار الاجتماعي في ظل غياب الدولة المركزية، فقد كان لكل قبيلة شيوخها وأعرافها، مما ساعد في فرض الأمن والنظام داخل المدن والقرى. كما تميزت العلاقات القبلية بالتوازن بين التحالفات والصراعات، مما أوجد نظامًا متماسكًا ضمنيًا مكن البلدات في تطوير ذاتها[80].

2. المذهب الفقهي: لقد وجدت مذاهب فقهية وعقدية في حضرموت قبل قدوم الإمام المهاجر إلى حضرموت في بداية القرن الرابع الهجري، منها المذاهب السنية والخارجية والشيعة وغيرها، ولكن فيما بعد كان المذهب الشافعي الأكثر انتشارًا في حضرموت خلال فترة الدراسة، وارتبط بنظام الفتوى، والقضاء والتعليم. وقد أسهم هذا المذهب في ترسيخ قيم التعايش وضبط السلوك الاجتماعي ضمن مرجعيات دينية واحدة[81].

وفي مناطق محدودة ظهرت تأثيرات لمذاهب أخرى، كالمذهب الحنفي في أواخر هذه الفترة (بسبب ارتباط بعض القضاة أو الحكام)، لكن سيادة المذهب الشافعي كانت الغالبة[82].

المبحث ثالث: العلم والتعليم والأنشطة الدينية:

شكلت الأنشطة الدينية والتعليمية أساسًا متينًا للحياة الاجتماعية في حضرموت من خلال:

1. انتشار الكتاتيب في القرى، وظهرت مراكز علمية في المدن كتريم وسيئون، أسهمت في نشر العلوم الإسلامية كالفقه والتفسير والحديث[83].

2. كان للعلماء دور محوري في التعليم والإفتاء، وكانت المجالس العلمية تُعقَد في المساجد والزوايا، أكسبها وظيفة تعليمية واجتماعية إلى جانب وظيفتها الدينية[84].

شكل النظام القبلي والإسلامي أساس الحياة الاجتماعية في حضرموت خلال هذه الحقبة. وأسهم انتشار التعليم في ترسيخ القيم الأخلاقية، وتعزيز بنية المجتمع. وقد أدَّت البلدات والقرى دورًا فاعلًا في الحفاظ على هذا النسيج الاجتماعي المتماسك، من خلال مؤسسات غير رسمية، مثل المسجد والقبيلة والسوق.

المحور الخامس: العوامل المؤثرة في تطور المدن والبلدات الحضرمية (ق: 4 - 7هـ/ 10-13م):

لم يكن التطور العمراني والاجتماعي في حضرموت خلال القرون الهجرية من الرابع إلى السابع تطورًا عشوائيًا، بل جاء نتيجة لتفاعل معقد بين عوامل اقتصادية ودينية وسياسية. وقد أسهمت هذه العوامل في تحفيز النمو الحضري في بعض المدن، وفي انكماش بلدات أخرى بحسب درجة تأثير كل عامل.

المبحث الأول: العامل الاقتصادي:

كان للازدهار الاقتصادي القائم على الزراعة والتجارة أثر واضح في توسع البلدات؛ إذ ظهرت الأسواق الدورية كمراكز جذب للأنشطة الاقتصادية، كما

شهدت بعض القرى تحولًا تدريجيًا إلى بلدات أكبر نتيجة النشاط التجاري والزراعي المستمر.

كما أسهم وجود مراكز تجارية ساحلية مزدهرة في تشجيع الاستقرار السكاني داخل المناطق الداخلية، مما أدى إلى إنشاء بنى تحتية بدائية مرتبطة بالتبادل التجاري، مثل الطرق أو المخازن، وأماكن الضيافة.

شكل العامل الاقتصادي دافعًا محوريًا في نمو المدن الحضرمية:

1. التجارة البحرية: استفادت حضرموت من موقعها الجغرافي على بحر العرب، ومن وجود موانئ نشطة مثل ميناء الشحر، الذي كان محطة لتصدير اللبان والأسماك والبضائع القادمة من الهند وشرق أفريقيا، أسهم ذلك في ازدهار العمران وتوسع الأسواق[85].

2. الزراعة والواحات: أسهمت الزراعة في استقرار السكان في وديان خصبة، مثل وادي حضرموت، ووادي دوعن، وعمد، وأدت إلى انتشار بلدات زراعية صغيرة، تحولت تدريجيًا إلى حواضر حضرية[86].

3. الصناعات والحرف: نشطت في بعض المدن كسيئون أعمال الحياكة والدباغة والنجارة، أدَّتْ إلى قيام حارات خاصة بالحرفيين، وأسهم ذلك في توسع النسيج العمراني[87].

4. نظام الأوقاف: ساعدت الاستثمارات الوقفية في إنشاء المباني العامة، والمدارس، والمرافق الدينية، خلق نشاطًا اقتصاديًا وعمرانيًا مستدامًا[88].

المبحث ثاني: العامل الثقافي والديني:

أساهم العامل الثقافي والديني بشكل مباشر في تطوير المدن والبلدات الحضرمية، فقد أثر العامل الديني بشكل كبير على نمو المدن والبلدات الحضرمية فبرزت كمراكز إشعاع حضاري:

1. انتشار الزوايا والرباطات: شكلت الزوايا والأربطة مراكز جذب سكاني وعمراني، فقد جذبت طلاب العلم والمريدين من حضرموت وخارجها، أدى ذلك إلى نشوء أحياء سكنية، ومرافق خدمية أساسية حول هذه المؤسسات الدينية، خاصة في المدن مثل تريم[89].

2. المرجعية الفقهية الشافعية: التي تبنَّتْها الغالبية، وأدت إلى استقرار اجتماعي وسياسي، وساعدت على خلق بيئة تنظيمية محفزة للنمو العمراني للمنظم[90].

3. الطقوس الدينية الجماعية: مثل الاحتفالات بالمولد النبوي، وحلقات الذكر، أدَّتْ دورًا في ترسيخ العلاقات الاجتماعية، مما ساعد على الاستقرار الحضري، والنمو السكاني حول المساجد والزوايا[91].

المبحث الثالث: العامل السياسي والأمني:

أسهم الاستقرار السياسي النسبي في بعض مراحل الفترة المدروسة، لاسيما خلال حكم بني أيوب وارتباط حضرموت لاحقًا بالدولة الرسولية، في تعزيز الأمن، مكَّن عددًا من البلدات من النمو وتوسع نطاقها العمراني.

أدَّى العامل السياسي والأمني دورًا ثنائيَّ التأثير في المدن الحضرمية:

1. الاستقرار السياسي المحلي: في فترات معينة، خصوصًا في عهد بعض الدويلات الحضرمية المستقلة، أو في ظل السيطرة الرسولية لاحقًا، أدى إلى نمو بعض المدن وتوسعها، مع بناء الأسوار والتنظيم الإداري للمجال الحضري[92].

2. الصراعات القبلية أو الغارات الخارجية: في فترات أخرى، أدت إلى تراجع عمراني أو انتقال السكان من مدن ساحلية إلى الداخل، كما حدثت جزئيًا في الشحر والمكلا في بعض المراحل اللاحقة، مما أثر سلبًا في العمران[93].

3ـ نظام التحالفات: بين القبائل والعلماء والحُكَّام المحليين، ساعد على بسط الأمن في بعض المناطق، وشجع على إنشاء مدارس ومساجد وساحات تجارية محمية، وبالتالي ساعد على تطور العمران الحضري[94].

4. التحصينات الدفاعية: أقيمت في بعض البلدات المهمة مثل تريم وشبام، وكانت هذه التحصينات تؤدي دورًا مزدوجًا: حماية السكان، وتحديد حدود التجمع العمراني، ساعد على وضوح التخطيط الحضري وإن كان بشكل تقليدي(95).

مما تقدم يتبين تكامل العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، في التأثير في بنية المدن والبلدات الحضرمية. فقد ساعد الاستقرار والموارد الطبيعية والدور الديني على صقل نموذج عمراني واجتماعي متماسك، استمر تأثيره حتى العصور اللاحقة.

الخاتمة:

في ضوء الدراسة التي تناولت التحولات العمرانية والاجتماعية لبلدات حضرموت خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع إلى السابع الهجري، يمكن القول إن هذه المرحلة شهدت تحولات جوهرية كان لها الأثر البالغ في تشكيل ملامح المجتمع الحضرمي والحياتي في المنطقة.

لقد برزت حضرموت كنموذج للتعايش بين الجغرافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، إذ ساعد الموقع الطبيعي للمنطقة على دعم النشاط الزراعي والتجاري، مما أسهم في استقرار السكان وازدهار البلدات والقرى الريفية. كما أثرت التحولات السياسية، من تقلبات في الحكم وظهور كيانات محلية، في التطور العمراني، من خلال تعزيز النمو الحضري أو تقييده في فترات مختلفة.

وأدَّت البنية الاجتماعية القائمة على النظام القبلي والدور الديني المركزي دورًا محوريًا في الحفاظ على نسيج اجتماعي متماسك، أرسى دعائم التعليم والتقاليد، وأسهم في صياغة هُوِيَّة حضرموت الثقافية والفكرية.

إن هذا التداخل بين العوامل المختلفة أعطى حضرموت طابعًا مميزًا، انعكس في تنظيم البلدات وامتدادها العمراني، كما وفر أرضية متينة استمرت حتى العصور اللاحقة.

وتؤكد الدراسة على أهمية استكشاف المزيد من المصادر المهمة في تاريخ حضرموت.

الهوامش:

(1) ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي اليماني(ت: 743هـ/ 1343م)، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ط2، تح، مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، 1405هـ/1985م، ص24؛ ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني الزبيدي(ت 944هـ/ 1537م)، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط2، تح، محمد بن علي الاكوع، المكتبة اليمنية، صنعاء، 1409هـ/ 1988م، ص94؛ باحنان، محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن، جواهر تاريخ الأحقاف، تح، حسن جاد حسن، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1382هـ/ 1963م، ج2، ص12؛ بامطرف، محمد عبدالقادر، تاريخ حضرموت السياسي، مطبعة الأهرام، القاهرة، 1355هـ/ 1936م، ص45. 46؛ الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1423هـ/ 2003م، ج1، ص215؛ باصرة، صالح علي عمر، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن، عدن،1422هـ/ 2001م، ص68.

(2) ابن عبدالمجيد، بهجة الزمن، ص30. 31؛ السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، معجم جغرافي . تاريخي . أدبي . اجتماعي، دار المنهاج، بيروت، 1425هـ/ 2005م، ص535 537؛ البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، ط2، مكتبة الصنعاني، صنعاء، 1956م، ص72. 73؛ باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م، ص106.

(3) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص 32. 33؛ ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني الزبيدي(ت944هـ/1537م)، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح، عبدالله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1400هـ/ 1979م، ص41؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج1، ص246؛ السقاف، إدام القوت، ص526؛ باوزير، صفحات، ص82. 85.

(4) الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار من التاريخ الحضرمي، مكتبة الإرشاد، جدة، د.ت، ج1، ص141. 142.

(5) ابن الديبع، قرة العيون، ص120؛ السقاف، إدام القوت، ص616؛ فرانتسوزوف، د. سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده العصور الوسيطة المبكرة (القرن الرابع . الثاني عشر الميلادي)، تقديم وتعريب، د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 1425هـ/2004م، ص188.

(6) بامطرف، محمد عبدالقادر، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت، المكلا، 1421هـ/ 2001م، ص63؛ شهاب، محمد ضياء، وعبدالله بن نوح، الأمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ماله ولنسله وللأئمة من أسلافه من الفضائل والمآثر، دار الشروق، جدة، د.ت، ص51.

(7) باحنان، جواهر، ج2، ص57 ، 82؛ الشاطري، أدوار من التاريخ الحضرمي، ج1، ص156. 157؛ بامطرف، المختصر، ص64؛ البكري، تاريخ حضرموت، ص77؛ باوزير، صفحات، ص78. 88.

(8) ابن الديبع، قرة العيون، ص176؛ السقاف، إدام القوت، ص537؛ باحنان، جواهر، ج2، ص87؛ بامطرف، المختصر، ص66؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج1، ص269.

(9) بامطرف، المختصر، ص67؛ باصرة، دراسات، ص68.

(10) باحنان، جواهر، ج2، ص87. 88.

(11) الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت 812هـ/ 1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن وهو: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تح، عبدالله بن قائد العبادي وآخرين، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1430هـ/ 2009م، ج2، ص651. 652.

(12) بامطرف، المختصر، ص69.

(13) ابن حاتم اليامي، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل الهمداني، كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح، ركس سمث، جامعة كمبردج، د.ت، ص189. 190؛ شنبل، أحمد بن عبدالله (ت: 920هـ/ 1514م)، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، ط2، تح، عبدالله الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، 1424هـ/ 2003م، ص48. 49، 73، 78. 79، 81؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص273؛ يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (1035. 1100هـ/ 16625. 1689م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تح، سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1388هـ/ 1968م، ص327؛ السقاف، إدام القوت، ص538؛ باحنان، جواهر، ج2، ص94، 115؛ البكري، تاريخ حضرموت، ص81. 83؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج2، ص430، 493. 494؛ باوزير، صفحات، ص108. 113.

(14) السقاف، إدام القوت، ص538؛ الشاطري، أدوار من التاريخ الحضرمي، ج1، ص173؛ بامطرف، المختصر، ص71.

(15) للمزيد ينظر: الخزرجي، العقد الفاخر، ج2، ص908. 921؛ باوزير، صفحات، ص121. 123.

(16) الخزرجي، العقد الفاخر، ج2، ص 912. 919؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص90. 91؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص328. 330؛ الشاطري، أدوار من التاريخ الحضرمي، ج1، ص19، 168؛ باصرة، دراسات، ص68.

(17) الخزرجي، العقد الفاخر ، ج2، ص920. 921؛ شنبل، تاريخ حضرموت، ص103. 104، 109؛ ابن الديبع، قرة العيون، ص337، 341؛ السقاف، إدام القوت، ص538؛ باوزير، صفحات، ص124.

(18) شنبل، تاريخ حضرموت، ص59؛ السقاف، إدام القوت، ص674. 675.

(19) السقاف؛ إدام القوت، ص504؛ باصرة، دراسات، ص65، 67.

(20) للمزيد من المعلومات ينظر: الصبان، عبدالقادر محمد، تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، ط5، طبع بمكتب الأمين، سيئون،

1412هـ/ 2000م، ص13. 17؛ العمري، عبدالحافظ أحمد، العطاء الحضاري لمدينة تريم عبر أدوار التاريخ، إصدارات موقع عيون المعرفية، ورقة عمل مقدمة لمهرجان الأدب اليمني السادس المنعقد في مدينة عدن للفترة من 24. 27 مايو 2010م، ص9.

(21) شنبل، تاريخ حضرموت، ص76؛ الشاطري، أدوار من التاريخ الحضرمي، ج1، ص19، 168، 183؛ باعباد، فائز محمد، موجز عن أحوال حضرموت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، المؤتمر العلمي الدولي الأول، التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين، المكلا، 20. 21 ديسمبر 2016م، دار الوفاق، الرياض 1440هـ/ 2019م، ص113

(22) الهمداني الحسن بن أحمد (ت 334هـ/ 945م)، صفة جزيرة العرب، ط3، تح، محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت، 1405هـ/ 1983م، ص165 . 170؛ السقاف، إدام القوت، ص43؛ الصبان، تعريفات، ص5 . 6؛ مفلح، سالم فرج، حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر الهجري/ العاشر والسابع عشر الميلادي بين الأباضية والمعتزلة (مشروع رؤية)، دار حضرموت، المكلا، 1427هـ/2006م، ص28.

(23) بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1393هـ/ 1973م، ص187 . 193؛ البكري، تاريخ حضرموت، ج1، ص36. 38 ؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج1، ص93. 94؛ باطويل، د. رجاء، عادات وتقاليد الزواج في شبام، مجلة الإكليل، العدد الأول، عدن، 1413هـ/ 1992م، ص220؛ الكثيري، سالم أحمد سالم، العلاقات الصينية . الظفارية في عهد الدولة الكثيرية الأولى، المؤتمر العلمي الأول، التاريخ والمؤرخون الحضارمة (ق 6. 9هـ/ 12. 15م)، المكلا، 1438هـ/20. 21 ديسمبر 2016م، دار الوفاق، الرياض، 1440هـ/ 2019م، ص177. 179؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص201؛ باصرة، دراسات، ص70.

(24) بامطرف، المختصر، ص32؛ الصبان، تعريفات، ص6؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج1، ص95. 101؛ باصرة، دراسات، ص75.

(25) السقاف، إدام القوت، ص799؛ بافقيه، تاريخ اليمن، ص186؛ البكري، تاريخ حضرموت، ص43؛ باصرة، دراسات، ص75؛ م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد حضرموت الغربية . العام والمحلي في الثقافة السلالية، ط2، ترجمة، د.علي صالح الخلاقي، دار الوفاق الحديثة، مصر، 1441هـ/ 2019م، ص140؛ باعباد، موجز، ص115.

(26) الشاطري، أدوار من التاريخ الحضرمي، ج1، ص170؛ البكري، تاريخ حضرموت، ص42؛ الهادي، إبراهيم عبدالله محمد، ملامح الصناعات الحرفية في اليمن، مجلة المتحف اليمني، العدد 3، 1429هـ/ 2009م، ص74؛ بلعقير، محمد صالح، الزخارف الخشبية في منازل مدينة شبام، مجلة حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، العدد3، 1439هـ/ يناير . مارس، 2017م، ص34. 35.

(27) المحمدي، عمر سالم، موفولوجية القرى الريفية في حوض وادي دوعن . حضرموت: دراسة جغرافية باستخدام GIS، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، المكلا، العدد19، 1444هـ/ديسمبر 2022م، ص479؛ م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد، ص203.

(28) البكري، تاريخ حضرموت، ص73؛ باطويل، عادات وتقاليد، ص220؛ بلعفير، الزخارف الخشبية، ص35.

(29) الحامد، تاريخ حضرموت، ج1، ص307. 308 ؛ الصبان، تعريفات، ص13.

(30) الصبان، تعريفات، ص7.

(31) السقاف، إدام القوت، ص110، 162؛ الشاطري، أدوار،ج1، ص53؛ فرنتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص200.

(32) عيديد، حسن عيديد طه، ترميم السقايات في وادي حضرموت (دراسة لتجربة ترميم من مدينتي شبام وسيئون)، مجلة المتحف اليمني، العدد3، 1429هـ/ 2009م، ص30.

(33) السقاف، إدام القوت، ص543؛ الصبان، تعريفات، ص9، 19؛ شكري، محمد سعيد، تأسيس مدينة شبام وتاريخها السياسي في العصور الوسطى، مجلة سبأ، كلية الآداب، جامعة عدن، العدد 8، ديسمبر 1999م، ص127؛ حنشور، أحمد إبراهيم محتسب، العمارة الطينية بين الواقع والطموح، مجلة حضرموت الثقافية، العدد18، 1442هـ/ 2020م، ص47؛ العمودي، ليلى، العمارة الحضرمية بين جفاف الطين ورطوبة المهجر، مجلة حضرموت الثقافية، العدد18، 1442هـ/ 2020م، ص66؛ البيتي، حسن محمد، مانهاتن الصحراء بين الأقدمية وخطر الزوال، مجلة حضرموت الثقافية، المكلا، العدد31، يناير. مارس، 2024م، ص87.

(34) للمزيد ينظر: شنبل، تاريخ حضرموت، ص20. 110؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج2، ص405. 429.

(35) الكثيري، ناجي جعفر مرعي، تمدن مدينة تريم في الإسلام، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، مج10، العدد2، 1435هـ/ديسمبر 2013م، ص671.

(36) باعكيم، عادل حاج، مدينة الشحر إبان حكم بني رسول(677. 836هـ/ 1278. 1432م)، المؤتمر العلمي الأول التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس إلى التاسع الهجري، المكلا، 1438هـ/20. 21 ديسمبر 2016م، دار الوفاق، الرياض، 1440هـ/ 2019م، ص407؛ باعباد، موجز، ص116.

(37) للمزيد ينظر: الصبان، تعريفات، ص8، 13، 19؛ باصرة، دراسات، ص76؛ حنشور، العمارة، ص49.

(38) الحداد، علوي بن طاهر بن عبدالله بن طه(ت: 1382هـ/ 1962م)، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، تح، د.محمد أبوبكر باذيب، دار الفتح، جدة، 1538هـ/ 2017م، ص261؛ حنشور، العمارة، ص47؛ باعيسى، أنور أحمد، فن العمارة في حضرموت، مجلة حضرموت الثقافية، المكلا، العدد18، سنة 1442هـ/ 2020م، ص54. 55؛ باسنبل، يوسف عمر، ضري المنطقة الهادئة في وادي دوعن الأيسر، مجلة حضرموت الثقافية، المكلا، العدد31، 1446هـ/يناير.

مارس 2024م، ص43.

(39) داملوجي، سلمى سمر، عمارة اليمن من يافع إلى حضرموت، منشورات لورنس كينغ، لندن، 2007م، ص45.

(40) السقاف، إدام القوت، ص541؛ الصبان، تعريفات، ص19؛ باصرة' دراسات، ص67؛ ليوكوك، رونالد ب ، وادي حضرموت والمدينة المسورة شبام، اليونسكو، باريس، 1407هـ/1986م، ص12؛ البيتي، مانهاتن، ص87.

(41) باطويل، عادات وتقاليد، ص221. 222.

(42) الكثيري، تمدن، ص671؛ باصرة، دراسات، ص67؛ باحميد، أحمد زين، مدن حضرمية، مجلة حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، العدد3، يناير. مارس، 2017م، ص32. 33؛ باسنبل، ضري، ص48.

(43) ملامح الصناعات، ص74.

(44) ابن عبد المجيد، بهجة الزمن، ص 32. 33؛ ابن الديبع، بغية المستفيد، ص41؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج1، ص246؛ السقاف، إدام القوت، ص526؛ باوزير، صفحات، ص82. 85؛ ابن الشيخ أبوبكر، محمد حسين محمد، عمارة المساجد في مدينة الشحر (ق 6. 9هـ/ 12. 15م) دراسة تاريخية . أثرية . معمارية، المؤتمر العلمي الأول ، المكلا، 1438هـ/ 20. 21 ديسمبر2016م، التاريخ والمؤرخون الحضارمة (ق 6 . 9 هـ/ 12. 15م)، دار الوفاق، الرياض، 1441هـ/2019م، ص286، 288.

(45) الشاطري، أدوار من التاريخ الحضرمي، ج1، 182. 183؛ الكلدي، جمال عبدالحبيب عبدالقوي، المذهب الشافعي في اليمن من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م، ص182؛ باعباد، موجز، صص128.

(46) شنبل، تاريخ حضرموت، ص59؛ السقاف، إدام القوت، ص680، 704.

(47) شنبل، تاريخ حضرموت، ص47، 54؛ السقاف، إدام القوت، ص874؛ الكلدي، المذهب، ص178.

(48) باحميد، مدن حضرمية، ص32. 33؛ بن الشيخ أبو بكر، عمارة المساجد، ص254؛ باعباد، موجز، ص135.

(49) م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد، ص280. 281.

(50) الحداد، علوي بن طاهر بن عبدالله بن طه (ت: 1382هـ/ 1963م)، جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ، تح، د.محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، 1434هـ/ 2013م، ص58؛ بافقيه، تاريخ اليمن، ص193؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص201؛ بن الشيخ أبو بكر، عمارة المساجد، ص252؛ م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد، ص81.

(51) الحداد، الشامل، ص242. 253؛ الشاطري، أدوار، ج1، ص53.

(52) فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص182.

(53) باسنبل، ضري، ص47.

(54) الحداد، الشامل، ص242. 243؛ الشاطري، أدوار، ج1، ص53.

(55) الصبان، تعريفات، ص10، 16، 19؛ الكلدي، المذهب، ص178؛ الكثيري، تمدن، ص671؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص110؛ بن الشيخ أبوبكر، عمارة المساجد، ص261، 284.

(56) شنبل، تاريخ حضرموت، ص63، 77؛ الصبان، تعريفات، ص11؛ باحميد، مدن حضرمية، ص32.

(57) الصبان، تعريفات، ص19؛ ليوكوك، وادي حضرموت، ص12؛ باطويل، عادات وتقاليد، ص221. 222؛ باسنبل، ضري، ص48؛ البيتي، مانهاتن، ص48.

(58) فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص181.

(59) السقاف، إدام القوت، ص270، 306.

(60) فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص172.

(61) ابن الشيخ أبوبكر، عمارة المساجد، ص252.

(62) شنبل، تاريخ حضرموت، ص47؛ الكلدي، المذهب، ص178؛ باعباد، موجز، 128. 136.

(63) السقاف، إدام القوت، ص889. 890.

(64) شنبل، تاريخ حضرموت، ص24؛ بامطرف، تاريخ حضرموت، ص147؛ باوزير، صفحات، ص125.

(65) السقاف، إدام القوت، ص874؛ باوزير، صفحات، ص145.

(66) السقاف، إدام القوت، ص704. 705، 890.

(67) الكلدي، المذهب، ص178؛ الجوهي، خالد حسن، المجاورون الحضارم في الحرمين الشريفين ودورهم في الحياة العلمية (من القرن السابع حتى التاسع الهجري)، المؤتمر العلمي الأول، التاريخ والمؤرخون الحضارم، المكلا، 1438هـ/ 20. 21 ديسمبر 2016م، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، المكلا، 1440هـ/ 2019م، ص373.

(68) السقاف، إدام القوت، ص888.

(69) الجوهي، المجاورون، ص375.

(70) السقاف، إدام القوت، ص888؛ باعباد، موجز، ص131.

(71) باعباد، موجز، ص135؛ بن الشيخ أبوبكر، عمارة المساجد، ص259.

(72) باعباد، موجز، ص135. 136؛ قنيوي، عبدالله بن أحمد، الحياة العلمية في وادي دوعن حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، مجلة حضرموت الثقافية، العدد4، شوال 1438هـ/ إبريل . يونيو 2017م، ص22.

(73) باوزير، صفحات، 134.

(74) للمزيد ينظر: شنبل، تاريخ حضرموت، ص20. 110؛ الحامد، تاريخ حضرموت، ج2، ص405. 429.

(75) ينظر: فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص165. 189.

(76) السقاف، إدام القوت، ص875؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص196؛ بحيري، عبدالله، سياسة النظام الطبقي في حضرموت، منشورات جامعة أسفورد، 1390هـ/ 1971م، تعريب وترجمة، سلطان

ناجي، 1395هـ/ 1975م، ص7؛ م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد، ص45، 52.

(77) بامطرف، تاريخ حضرموت، ص115؛ بحيري، سياسة النظام، ص4؛ باصرة، دراسات، ص78.

(78) بحيري، سياسة النظام، ص3؛ م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد، ص52.

(79) بحيري، سياسة النظام، ص12؛ باصرة، دراسات، ص78؛ م.أ. رودينوف، عادات وتقاليد، ص56. 57.

(80) فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص165، 188؛ بحيري، سياسة النظام، ص7.

(81) السقاف، إدام القوت، ص795؛ شهاب، الإمام المهاجر، ص122؛ صفحات، ص90؛ مفلح، حضرموت بين القرنين، ص69؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص195؛ بن سلمان، حسين صالح، تاريخ دخول المذهب الشافعي حضرموت، مجلة حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، العدد11، 1441هـ/ يناير. مارس، 2019م، ص26؛ باصرة، دراسات، ص67. 68؛ الكلدي، المذهب، ص180؛ باعباد، موجز، ص118 . 1121.

(82) السقاف، إدام القوت، ص524؛ الشاطري، أدوار، ج1، ص182؛ الكلدي، المذهب، ص180؛ مفلح، حضرموت بين القرنين، ص70؛ بن سلمان، تاريخ، ص28.29.

(83) السقاف، إدام القوت، ص875؛ الجوهي، المجاورون، ص375؛ باعباد، موجز، ص133.

(84) السقاف، إدام القوت، ص875؛ الكلدي، المذهب، ص178؛ الجوهي، المجاورون، ص375؛ باسنبل، ضري، ص43.

(85) الشاطري، أدوار، ج1، ص53؛ بافقيه، تاريخ اليمن، ص192؛ باكثير، حضرموت، ص73.

(86) السقاف، إدام القوت، ص306، 799؛ الشاطري، أدوار، ج1، ص180. 182؛ باصرة، دراسات، ص75.

(87) الشاطري، أدوار، ج1، ص180.

(88) السقاف، إدام القوت، ص617، 890؛ باوزير، صفحات، ص144. 145.

(89) الشاطري، أدوار، ج1، ص182؛ الكلدي، المذهب، ص178.

(90) السقاف، إدام القوت، ص781. 784؛ الشاطري، أدوار، ج1، ص168؛ باوزير، صفحات، ص88، 90.

(91) الشاطري، أدوار، ج1، ص186.

(92) السقاف، إدام القوت، ص166، 675؛ بامطرف، تاريخ حضرموت، ص172.

(93) شنبل، تاريخ حضرموت، ص67؛ فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص209؛ باحميد، مدن حضرمية، ص32. 33.

(94) ينظر: فرانتسوزوف، تاريخ حضرموت، ص167، 175، 182، 186، 210.

(95) فرانتوزوف، تاريخ حضرموت، ص110.

المصادر والمراجع:

1- أ.رودينوف، عادات وتقاليد حضرموت الغربية . العام والمحلي في الثقافة السلالية، ط2، ترجمة، د.علي صالح الخلاقي، دار الوفاق الحديثة، مصر، 1441هـ/ 2019م.

2- باحميد، أحمد زين، مدن حضرمية، مجلة حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، العدد3، 1449هـ/ يناير. مارس، 2017م.

3- باحنان، محمد بن علي بن عوض بن سعيد بن زاكن، جواهر تاريخ الأحقاف، تح، حسن جاد حسن، مكتبة النهضة الحديثة، مكة المكرمة، 1382هـ/ 1963م.

4- باسنبل، يوسف عمر، ضري المنطقة الهادئة في وسط وادي دوعن الأيسر، مجلة حضرموت الثقافية، المكلا، العدد31، 1446هـ/ يناير. مارس، 2024م.

5- باصرة، صالح علي عمر، دراسات في تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر، دار جامعة عدن، عدن، 1422هـ/ 2001م.

6- باطويل، د.رجاء، عادات وتقاليد الزواج في شبام، مجلة الإكليل، العدد الأول، عدن، 1413هـ/ 1992م.

7- باعباد، فائز محمد، موجز عن أحوال حضرموت في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي، المؤتمر العلمي الدولي الأول، التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس حتى القرن التاسع الهجريين، المكلا، 1438هـ/20. 21 ديسمبر 2016م، دار الوفاق ، الرياض 1440هـ/ 2019م.

8- باعكيم، عادل حاج، مدينة الشحر إبان حكم بني رسول(677. 836هـ/ 1278. 1432م)، المؤتمر العلمي الأول التاريخ والمؤرخون الحضارمة من القرن السادس إلى التاسع الهجري، المكلا، 20. 21 ديسمبر 2016م، دار الوفاق، الرياض، 1440هـ/ 2019م.

9- باعيسى، أنور أحمد، فن العمارة في حضرموت، مجلة حضرموت الثقافية، المكلا، العدد18، سنة 1442هـ/ 2020م.

10- بافقيه، محمد عبدالقادر، تاريخ اليمن القديم، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1394هـ/ 1973م.

11- بحيري، عبدالله، سياسة النظام الطبقي في حضرموت، منشورات جامعة أسفورد1390هـ/1971م.

12- بامطرف، محمد عبدالقادر، تاريخ حضرموت السياسي، مطبعة الأهرام، القاهرة،1355هـ/ 1936م.

13- بامطرف، المختصر في تاريخ حضرموت العام، دار حضرموت، المكلا، 1423هـ/ 2001م.

14- باوزير، سعيد عوض، صفحات من التاريخ الحضرمي، ط3، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/2012م.

15- البكري، صلاح، تاريخ حضرموت السياسي، ط2، مكتبة الصنعاني، صنعاء، 1376هـ/ 1956م.

16- بلعقير، محمد صالح، الزخارف الخشبية في منازل مدينة شبام، مجلة حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، العدد3، 1439هـ/ يناير . مارس، 2017م.

17- البيتي، حسن محمد، مانهاتن الصحراء بين الأقدمية وخطر الزوال، مجلة حضرموت الثقافية، المكلا، العدد31، 1446هـ/ يناير. مارس، 2024م.
18- الجوهي، خالد حسن، المجاورون الحضارم في الحرمين الشريفين ودورهم في الحياة العلمية(من القرن السابع حتى التاسع الهجري)، المؤتمر العلمي الأول، التاريخ والمؤرخون الحضارم، المكلا،1448هـ/ 20. 21 ديسمبر 2016م، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، المكلا، 1440هـ/ 2019م.
19- ابن حاتم اليامي، الأمير بدر الدين محمد بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل الهمداني، كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن، تح، ركس سمث، جامعة كمبردج، د.ت.
20- الحامد، صالح، تاريخ حضرموت، ط2، مكتبة الإرشاد، صنعاء، 1423هـ/ 2003م.
21- الحداد، علوي بن طاهر بن عبدالله بن طه(ت: 1382هـ/ 1963م)، جني الشماريخ جواب أسئلة في التاريخ، تح، د.محمد يسلم عبدالنور، تريم للدراسات والنشر، حضرموت، 1434هـ/ 2013م.
22- الحداد، الشامل في تاريخ حضرموت ومخاليفها، تح، د.محمد أبوبكر باذيب، دار الفتح، جدة، 1538هـ/ 2017م.
23- حنشور، أحمد إبراهيم محتسب، العمارة الطينية بين الواقع والطموح، مجلة حضرموت الثقافية، العدد18، 1442هـ/ 2020م.
24- الخزرجي، أبو الحسن علي بن الحسن (ت 812هـ/ 1409م)، العقد الفاخر الحسن في طبقات أكابر أهل اليمن وهو: طراز أعلام الزمن في طبقات أعيان اليمن، تح، عبدالله بن قائد العبادي وآخرون، مكتبة الجيل الجديد، صنعاء، 1430هـ/ 2009م.
25- داملوجي، سلمى سمر، عمارة اليمن من يافع إلى حضرموت، منشورات لورنس كينغ، لندن،1428هـ/ 2007م.
26- ابن الديبع، عبدالرحمن بن علي الشيباني الزبيدي(ت 944هـ/ 1537م)، بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد، تح، عبدالله الحبشي، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، 1979م.
27- ابن الديبع، قرة العيون في أخبار اليمن الميمون، ط2، تح، محمد بن علي الاكوع، المكتبة اليمنية، صنعاء، 1409هـ/ 1988م.
28- السقاف، عبدالرحمن بن عبيد الله، إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت، معجم جغرافي . تاريخي . أدبي . اجتماعي، دار المنهاج، بيروت، 1425هـ/ 2005م.
29- السقاف، الجوهر الشفاف في طبقات السادة الأشراف، دار الكتاب الإسلامي، بيروت،1419هـ/ 1998م.
30- بن سلمان، حسين صالح، تاريخ دخول المذهب الشافعي حضرموت، مجلة حضرموت للدراسات والنشر، المكلا، العدد11، 1441هـ/ يناير. مارس، 2019م.
31- الشاطري، محمد بن أحمد بن عمر، أدوار من التاريخ الحضرمي، مكتبة الإرشاد، جدة، د.ت .
32- شكري، محمد سعيد، تأسيس مدينة شبام وتاريخها السياسي في العصور الوسطى، مجلة سبأ، كلية الآداب، جامعة عدن، العدد 8، 1420هـ/ ديسمبر 1999م.
33- شنبل، أحمد بن عبدالله(ت 920هـ/ 1514م)، تاريخ حضرموت المعروف بتاريخ شنبل، ط2، تح، عبدالله الحبشي، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، 1424هـ/ 2003م.
34- شهاب، محمد ضياء، وعبدالله بن نوح، الأمام المهاجر أحمد بن عيسى بن محمد بن علي العريضي بن جعفر الصادق ماله ولنسله وللأئمة من أسلافه من الفضائل والمآثر، دار الشروق، جدة، د.ت.
35- ابن الشيخ أبوبكر، محمد حسين محمد، عمارة المساجد في مدينة الشحر(ق 6. 9هـ/ 12. 15م) دراسة تاريخية . أثرية . معمارية، المؤتمر العلمي الأول ، المكلا، 1448هـ/20. 21 ديسمبر2016م، التاريخ والمؤرخون الحضارمة (ق 6 . 9 هـ/ 12. 15م)، دار الوفاق، الرياض، 1441هـ/2019م.
36- الصبان، عبدالقادر محمد، تعريفات تاريخية عن وادي حضرموت، ط5، طبع بمكتب الأمين ، سيئون، 1412هـ/ 2000م.
37- ابن عبدالمجيد، تاج الدين عبدالباقي اليماني(ت: 743هـ/ 1343م)، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن، ط2، تح، مصطفى حجازي، دار الكلمة، صنعاء، 1985م.
38- العمري، عبدالحافظ أحمد، العطاء الحضاري لمدينة تريم عبر أدوار التاريخ، إصدارات موقع عيون المعرفية، ورقة عمل مقدمة لمهرجان الأدب اليمني السادس المنعقد في مدينة عدن للفترة من 1431هـ/ 24. 27 مايو 2010م.
39- العمودي، ليلى، العمارة الحضرمية بين جفاف الطين ورطوبة المهجر، مجلة حضرموت الثقافية، العدد18، 1442هـ/ 2020م.
40- عيديد، حسن عيديد طه، ترميم السقايات في وادي حضرموت(دراسة لتجربة ترميم من مدينتي شبام وسيئون)، مجلة المتحف اليمني، العدد3، 1429هـ/ 2009م.
41- فرانتسوزوف، د. سرجيس، تاريخ حضرموت الاجتماعي والسياسي قبيل الإسلام وبعده العصور الوسيطة المبكرة(القرن الرابع . الثاني عشر الميلادي)، تقديم وتعريب، د. عبدالعزيز جعفر بن عقيل، المعهد الفرنسي للآثار والعلوم الاجتماعية بصنعاء، 1425هـ/ 2004م.
42- قنيوي، عبدالله بن أحمد، الحياة العلمية في وادي دوعن حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، مجلة حضرموت الثقافية، العدد4، شوال 1438هـ/ إبريل . يونيو 2017م.
43- الكلدي، جمال عبدالحبيب عبدالقوي، المذهب الشافعي في اليمن من القرن الرابع إلى السابع الهجري/ العاشر إلى الثالث عشر الميلادي، دار الوفاق، عدن، 1433هـ/ 2012م.
44- الكثيري، سالم أحمد سالم، العلاقات الصينية . الظفارية في عهد الدولة الكثيرية الأولى، المؤتمر العلمي الأول، التاريخ والمؤرخون الحضارمة(ق 6. 9هـ/ 12. 15م)، المكلا، 1437هـ/20. 21 ديسمبر 2016م، دار الوفاق، الرياض، 1440هـ/ 2019م.
45- الكثيري، ناجي جعفر مرعي، تمدن مدينة تريم في الإسلام،

مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، مج10، العدد2، 1434هـ/ ديسمبر 2013م.

46- ليوكوك، رونالد ب ، وادي حضرموت والمدينة المسورة شبام، اليونسكو، باريس، 407هـ/1986م.

47- م.أ.رودينوف، عادات وتقاليد حضرموت الغربية . العام والمحلي في الثقافة السلالية، ط2، ترجمة، د. علي صالح الخلاقي، دار الوفاق الحديثة، مصر، 1441هـ/ 2019م.

48- المحمدي، عمر سالم، موفولوجية القرى الريفية في حوض وادي دوعن . حضرموت: دراسة جغرافية باستخدام GIS، مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية، المكلا، العدد19، 1444هـ/ ديسمبر 2022م.

49- المشهور، عبدالرحمن بن علوي، المشرع الروي في مناقب آل باعلوي، دار الكتاب الإسلامي، بيروت،1417هـ/ 1996م.

50- مفلح، سالم فرج، حضرموت بين القرنين الرابع والحادي عشر الهجري/ العاشر والسابع عشر الميلادي بين الأباضية والمعتزلة(مشروع رؤية)، دار حضرموت، المكلا،1427هـ/ 2006م.

51- الهادي، إبراهيم عبدالله محمد، ملامح الصناعات الحرفية في اليمن، مجلة المتحف اليمني، العدد 3، 1429هـ/ 2009م.

52- الهمداني الحسن بن أحمد، صفة جزيرة العرب، ط3، تح، محمد بن علي الأكوع، مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، دار الآداب، بيروت،1404هـ/ 1983م.

53- يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (1035. 1100هـ/ 16625. 1689م)، غاية الأماني في أخبار القطر اليماني، تح، سعيد عبدالفتاح عاشور، دار الكتاب العربي، القاهرة، 1388هـ/ 1968م.

Urban and Social Transformations of Hadhramaut's Towns and Villages (4th-7th AH Centuries, 10th-13th Centuries): An Analytical Historical Study

Jamal Abdulhabib Abdulqawi Al-Kaldi

Abstract

This study examines the urban and social transformations that took place in the towns of Hadramout between the 4th and 7th AH centuries. It also outlines the historical background of Hadramout during this period, with a particular focus on the impact of its geographical location on economic activity. The study also analyzes the social life in Hadrami cities and towns as well as the key factors that influenced their development.

The findings indicate that Hadramout's natural environment provided favorable conditions for agriculture and trade, which contributed to population stability and the expansion of towns. Political and economic shifts played an active role in shaping the urban landscape of the region. Moreover, the social structure based on tribal systems and religious functions was instrumental in building a cohesive society that preserved its cultural identity over time. In addition, the results assert that this period served as a foundational phase for a new stage of urban and social development in Hadramout, underscoring the need for further specialized studies to deepen the historical understanding of the region.